

● المقياس : نقد أدبي معاصر (تطبيق).

● المستوى: السنة الثانية.

● الأفواج: 11 - 12 - 13.

* قال « أبو نواس » (146 هـ - 198 هـ).

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللّومَ إِغْرَاءُ
صَفْرَاءُ لَا تَنْزِلُ الْأَحْزَانُ سَاحَتَهَا
قَامَتْ بِإِبْرِيْقِهَا وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ
فَأَرْسَلَتْ مِنْ فَمِ الْإِبْرِيْقِ صَافِيَةً
رَقَّتْ عَنِ الْمَاءِ حَتَّى مَا يَلَأْتُمُهَا
فَلَوْ مَزَجْتَ بِهَا نُورًا لَمَازَجَهَا
دَارَتْ عَلَى فِتْيَةٍ دَانَ الزَّمَانُ لَهُمْ
لِتِلْكَ أَبْكَي، وَلَا أَبْكَي لِمَنْزِلَةٍ
حَاشَا لِدُرَّةٍ أَنْ تُبْنَى الْخِيَامُ لَهَا
فَقُلْ لِمَنْ يَدَّعِي فِي الْعِلْمِ فِلْسَفَةً
لَا تَحْظِرِ الْعَفْوُ إِنْ كُنْتَ أَمْرًا حَرَجًا

وَدَاوِنِي بِالتِّي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ
لَوْ مَسَّهَا حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَاءُ
فَلَاحَ مِنْ وَجْهَهَا فِي الْبَيْتِ لَأَلَاءُ
كَأَنَّمَا أَخَذَهَا بِالْعَيْنِ إِغْفَاءُ
لَطَافَةٌ وَجَفَا عَنْ شَكْلِهَا الْمَاءُ
حَتَّى تَوَلَّى أَنْوَارَ وَأَضْوَاءُ
فَمَا يُصِيبُهُمْ إِلَّا بِمَا شَاؤُوا
كَانَتْ تَحُلُ بِهَا هِنْدٌ وَأَسْمَاءُ
وَأَنْ تَرَوْحَ عَلَيْهَا الْإِبِلُ وَالشَّاءُ
حَفَظْتَ شَيْئًا، وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ
فَإِنَّ حَظَرَ لَهُ بِالْدَّيْنِ إِزْرَاءُ

* المطلوب:

- حَلِّلْ هَذَا النَّصَّ مُسْتَمْتِرًا آيَاتِ الْمَنْهَجِ النَّفْسِيِّ مُسْتَرَشِدًا

بِالْعُنَاوِرِ التَّالِيَةِ: 1 - ظَاهِرَةُ الشَّعْوِيَّةِ وَعُقْدَةُ مَرْكَبِ النَّقْصِ.

2 - أَنْمَاطُ الصُّورَةِ الشَّعْرِيَّةِ وَدَلَالَتُهَا النَّفْسِيَّةِ.

3 - الْإِيْقَاعُ وَدَلَالَتُهُ عَلَى الْحَالَةِ النَّفْسِيَّةِ لِلشَّاعِرِ.

- التَّحْلِيلُ:

نَظَّمَ « أَبُو نَوَاسٍ » هَذِهِ الْقَصِيدَةَ رَدًّا عَلَى « إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَيَارِ النَّظَّامِ » فِيلَسُوفِ الْمَعْتَزِلَةِ حِينَ لَأَمَهُ عَلَى مَعَاقِرَةِ الْحُمْرَةِ وَالْمَجُونِ وَالتَّهْتِكِ وَمِنَ الْمَعْرُوفِ أَنَّ أَبَا نَوَاسٍ، إِلَى جَانِبِ شَعْرِيَّتِهِ، كَانَ مُتَضَلِّعًا فِي عُلُومِ

عصره من قبيل، الفقه والمنطق والفلسفة وعلم الكلام والتصوف وتتجلى ثقافته في هذه القصيدة، إذ يبدو رجل تفكير يدلي بآرائه، في صراحة وجزأة، ورجل نقاش وجدل يتسلّح بسلاح الأئمة ويواجه الحجّة بالحجة في لباقة ومهارة.

وإذا كانت شهره المجون قد غلبت على شخصيته حتى أصبح أشهر من وصّف الخمرة وتغنى بها ومجّدها في الشعر العربي، فإنّ من الدارسين من يعتبر الخمرة النواسية رمزاً صوفيّاً يدلُّ على الولّاء والنشوة الروحية، كما اتخذ الصوفية اسم « ليلي » رمزاً يقصدون به المحبوب.

* نفسية « أبي نواس » من خلال ظاهرة « الشعوبية » وعقدة « مركب النقص »:

تبد شعوبية « أبي نواس » واضحة في القصيدة، فهو في سخريته من الأطلال إنما يسخر من الحضارة العربية أمّا إحتفاله بالخمرة فهو احتفال بجديد الحياة وبريق الحضارة الفارسية التي غزت المجتمع العبّاسي زمنئذٍ. ويعزو الدارسون تفشّي الشعوبية في المجتمع العبّاسي إلى أسباب عديدة، أهمّها السبب الاجتماعي والمثّل أساساً في استعلاء العرب على الموالي، فقد اعتادوا بصراخة أنسابهم وشرف أحسابهم وظنّوا أنّهم أمة ليس كمثّلها أمة، وحملهم على هذا الاعتقاد والمذهب النصر العظيم الذي أحرزوه يتغلّبهم على الفرس والروم فتملكهم الشّعور بالسيادة والعظمة ونظروا إلى غيرهم من الشعوب نظرة السيّد إلى المسود، وهذا ما حمل غير العرب وخصوصاً الفرس على التّحاييل وانتهاز الفرص كلّما سنحت للتهجم التحقيري السّاخر وقد كان لهم ذلك في عهد البرامكة والمعتزلة.

هذا التّنازع الشعوبي خلّق في نفوس الفرس كدّات نفسية حادّة، جعلتهم يُحسّون بدو نيّتهم إزاء التحقير والإذلال الذي كانوا يلقونه من بعض العرب، وأبو نواس واحد منهم فقد عانى منذ صباه عقدة « مركب النقص » فقد نشأ يتيماً في كنف أمّ سيئة السمعة، ولهذا كان في قرارة نفسه دائم الهم والحزن فتهالك على الخمرة التي رأى فيها ذاته المسلوية التي تنسيه أدواءه الكثيرة، وما مجاهرته بشرب الخمر وارتكاب الفواحش إلّا مظهرًا من مظاهر التمزّق الداخلي وعدم الاستقرار النفسي.

2 - أنماط الصورة الشعريّة ودلالاتها النفسيّة:

القصيدة حافلة بالصّور التي تكشف أعماق لا وعي أبي نواس، فهو في مستهلّ قصيدته يكتّي عن الخمرة بالدّواء والدّاء وكأنّه يسعى إلى كسر قيود المنطق الذي يعتدّ به لائمه المعتزلي، ولكن لماذا لجأ إلى الكناية دون التّصريح؟ لأنّ المقام لا يسمح بذكرها، إزاء إمام معتزلي يغلب العقل على النّقل ويُعرف بفطنته وبعد نظرته؟ أم لأنّه استعاض عن الأنثى بالخمرة فتعاشى التصريح باسمها كحال من يغار إن ذكر اسم محبوبته؟.

إن الفرضيّة الثانية هي الأقوى، خاصّة لما استعار الصفرة لوصفها، واللّون الأصفر من الألوان الأساسيّة وهو لون دافئ يحمل معاني قويّة التأثير، وناجع في جذب الاهتمام، فكأنه بهذا الوصف يريد أن يشعرنا بهذا

الدّف الذي يُحسّهُ تجاه الحمرّة، فكأنّه استعاض بها عن الأنثى واكتفى...

إنّ الحمرّة تبهّر العين كما تبهّرها الشمس فـ « فكأنما أخذها بالعين إغفاء » والصّفرة لون الشمس أيضًا، وهذا الرّبط بينهما جعل من الحمرّة شيئًا مقدّسًا، فقد قدّس الفراعنة الشمس، وكانت رمزًا للمرأة عند شعراء الجاهلية.

ويتجسّم هذا الولع بالحمرّة حين يصفها بالدّرة وهي اللؤلؤة العظيمة التي تنتزّه عن وضاعة الإبل والشّاء، وقد منع « الدّرة » من الصّرف لأنّه أنزلها منزلة الأنثى العاقلة، وهذا يؤكّد ما رصدناه سابقًا من كون الشاعر استعاض عن المرأة بالحمرّة.

* الإيقاع:

- الوزن العروضي جزء من الإيقاع لما يمتاز به عن انتظام وتتابع في أجزائه، وقد آثرنا مصطلح الإيقاع للإشارة إلى ظاهرة التكرار التي تضيف على القصيدة إيقاعا خاصا يرتبط ارتباطا وثيقا بنفسية المبدع ونفسية المتلقي على السواء.

من البديهي أن الحالة النفسية للشاعر هي التي تفرض وزنا معيناً، والقصيدة موضوع الدّراسة من بحر « البسيط » والبسيط أخ الطويل في الجلالة والرّوعة، وكأنّه بهذا الوزن يريد أن يوهّنا بعظمة موضوع الحمرّة وجلالها ومكانتها في نفسه.

والملاحظ أن حرف المد «لألف» هو الأكثر تكرارا في القصيدة، وعند التلقّظ به يخرج الصّوت قوياً من الصّدر وهذا يعزّز النّفسية التي كان عليها أبو نواس وهو ينظم قصيدته، وهي حالة أقرب ما تكون إلى الغضب المتفجّر لصدّ لومة اللّائم ومقارعته.